اعداد / أ.د. مختار رحاب

الباب الأول (الدرس3) : أقسام الانتروبولوجيا:

لقد تعددت أراء العلماء و المفكرين في مجال البحث الانتربولوجي ، و تضاربت آراؤهم حول تقسيم و تحديد فروع الانثربولوجيا، و السبب في ذلك يعود إلى اختلاف طروحات كل مدرسة عن الأخرى ، إضافة إلى الاختلاف حول الموضوعات المشتغل عنها بالبحث، غير أن معظم العلماء المعاصرين يتفقون على تمييز قسمين رئيسيين يتمثل الأول في "الأنثروبولوجيا الطبيعية" والذي يهتم بدراسة الإنسان من الناحية الفيزيقية،أما القسم الثاني فيتمثل في "الأنثروبولوجيا الثقافية" والتي تهتم بدراسة ثقافة الإنسان وحضارته، وهذا الأخير ينقسم إلى عدة فروع نظرا لتنوع واختلاف الموضوعات التي يدرسها، وفيما يلي عرض وشرح للقسمين وأبرز فروع الأنثروبولوجيا.

أولا: الانثربولوجيا الطبيعية أو كما تسمى بالأنثروبولوجيا الفيزيقية Anthropologie physique:

وهي من الفروع الأولى للأنثروبولوجيا، ظهرت بشكل واضح أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر، تحت تأثير التيار الفكري التطوري خصوصا المدرسة الداروينية، وحسب البعض فقد نشأ علم الأنثروبولوجيا الطبيعية نتيجة الجمع بين علم التشريح والأبحاث المنسقة التي أجريت في علم الحيوان خلال تلك الفترة، وقد كان في بداياته علما وصفيا فلم يبد إلا اهتماما عرضيا بمشكلة الأصول العنصرية والقوى المحركة للاختلافات والتباينات بين البشر[1] وتدرس الأنثروبولوجيا الطبيعية السمات الفيزيقية للإنسان،من حيث هو كائن عضوي طبيعي، كما تهتم بدراسة الإنسان من حيث السمات الجسمية والتشريحية، وكذلك الإنسان العضوي في نشأته الأولى، كما يتتبع علماء الأنثروبولوجيا الطبيعية ميكانيزمات التحول والتغير التي حدثت للإنسان من الناحية الفيزيقية، كما يحرصون على تتبع منحنى التغيرات المتعاقبة في حياة الإنسان والأجناس البشرية.

ومن أبرز المنطلقات الاستفهامية التي انطلقت منها الأنثروبولوجيا الطبيعية هي التساؤلات المحيرة التي شغلت حيزا معتبرا من تفكير الإنسان منذ القديم وحتى وقتنا المعاصر، ومن جملة التساؤلات أين ظهر الإنسان للمرة الأولى؟ وكيف كانت صفاته؟، وما هي الأسباب التي أدت إلى حدوث التمايز

---

[1] - كارلتون كون: قصة الإنسان، ترجمة محمد توفيق حسين .

اعداد / أ.د. مختار رحاب

والاختلاف بين الشعوب؟، وما هي عوامل تغير الخصائص الجسمية والبناء المورفولوجي للإنسان خلال الأحقاب الزمنية المتعاقبة؟ ويعتمدون في ذلك نتائج الحفريات التي يقومون بها فيعملون على تحديد خصائص العظام، كما تمكنوا من تصنيفها وإطلاق أسماء علمية دالة عليها من حيث الحقبة الزمنية التي تعود إليها، والحوادث التي أحدثتها العوادي عليها، ومن منظورهم أن هذا المخزون المكتشف من العظام من خلال عمليات الحفريات، يدل على وجود أجناس بشرية كانت قد انقرضت، وحسبهم فهي أصل الجنس البشري الحالي، كما تمخضت عن أبحاثهم ودراساتهم في هذا المجال هو رسم معالم تمثل التطور البيولوجي وفق خط تطوري.

كما توجد علاقة بين الأنثروبولوجيا الطبيعية والجغرافيا البشرية من حيث دراسة الخصائص الجسمية للسلالات البشرية وتتبع تحركاتها، وهجراتها وتأثير العوامل الأيكولوجية في ذلك، وكذا تأثيرها على نوعية وأسلوب الحياة، وأنماط وطرائق التفكير لديها. بالإضافة إلى دراسة العوامل التكيفية والانتخابية التي تتدخل في تشكيل الوعاء الوراثي العام للسكان، كما تتداخل هذه العوامل تداخلا معقدا مع الظواهر الثقافية والاجتماعية.

ويرتبط قسم الأنثروبولوجيا الفيزيقية بعلم التشريح **Anatomie** و علم الانتروبومتري **Anthropometry\ Anthropometrie**،الذي يساعد الباحثين في مجال الانتربولوجيا الفيزيقية على الدراسة الكمية لمختلف السمات و الملامح العضوية للإنسان المعاصر و نظيره من بني جنسه في العصور و الحقب الزمنية و التاريخية الماضية، كما يساعد الانتروبومتري الباحثين الانتربولوجين على القياس التشريحي لجسم الإنسان مثل شكل الجمجمة، وشكل الأنف، ولون العين، وارتفاع القامة ولون البشرة ونوع الشعر.

ثانيا: الانثربولوجيا الثقافية Anthropologie Culturelle :

هي الفرع الثاني الكبير من فروع الانتربولوجيا، و يرتكز اهتمامه على دراسة الإنسان لتميزه و تفرده على الحيوانات، بامتلاكه للثقافة و بالتالي فهي تدرس الإنسان من الناحية الثقافية، و هذا يعني أن كل جماعة بشرية في مكان ما لها صفات و خصائص ثقافية تميزها عن غيرها. كما يهتم بدراسة التراث

اعداد / أ.د. مختار رحاب

الاجتماعي و السمات الثقافية، و هو يدرس الإنسان كما يحي و يعيش في ثقافته و قد كانت المجتمعات البدائية، هي المجال البحثي و الدراسي المفضل للباحثين الانتربولوجيين، ثم تناولوا ثقافات الشعوب و الأجناس البشرية المختلفة ، حتى امتدت دراستهم و أبحاثهم في الزمن القريب إلى دراسة الإنسان في الحياة المعاصرة ، فكما كان الاشتغال على ثقافة الإنسان البدائي في استراليا و غابات الأمازون و الأدغال الإفريقية ، كان الاهتمام كذلك بثقافة الإنسان المعاصر في بكين و واشنطن و بغداد و جاكرتا .... ويميل علماء الأنثروبولوجيا الثقافية الى الفصل بين كل من "الثقافة" و"المجتمع" كوحدتين للدراسة ويتجلى هذا بوضوح لدى النسبية الثقافية والحتمية الثقافية، وسنأتي في الفصول اللاحقة على شرح وتفصيل محتوى هذين النظريتين.

ونظرا لاتساع مجال الأنثروبولوجيا الثقافية فقد انقسمت إلى ثلاثة فروع :تمثلت في علم أثار ما قبل التاريخ **l Archeologie** ، و علم اللغويات **Linguistique** و الفرع الأخير هو الاثنولوجيا، وهذا التقسيم نجده في أمريكا وبريطانيا، ذلك أن الاثنولوجيا في فرنسا فرع مستقل بذاته ويعني الأنثروبولوجيا.

و يرى بعض الباحثين و من بينهم " ميلر " إن علم الاركيولوجي رغم انه يقترب من الانتربولوجيا الثقافية، لا يحاول أن يعيد بناء طرق و أساليب الحياة في مراحل ما قبل التاريخ قبل إن تظهر السجلات التاريخية إلا أن مجال عمله هو الحفريات مما يتطلب من المختص في علم الاركيولوجيا أن يكون ملما لمفهومات و المعلومات البيولوجية ، و ذلك عندما يحاول إعادة بناء ثقافات ما قبل التاريخ من خلال دراسة خبايا و رواسب أجزاء الكائنات الحية و النباتية و الأدوات المادية المندثرة في الحفريات و لذلك صنف علم اركيولوجيا كفرع مستقل عن الانتربولوجيا العامة ، و كذلك تصنيف انتربولوجيا اللغويات كفرع مستقل ، إن المادة العلمية الخاصة بها تتقيد و تتميز حسب المنطقة الثقافية التي توجد فيها[2].

و فيما يلي سنعمل على مزيد من التوضيح حول فروع الأنثروبولوجيا الثقافية حسب البريطانيين والأمريكان :

1- علم آثار ما قبل التاريخ Prehistoric archeology:

[2]- محمد حسن غامري : مقدمة الانتربولوجيا العامة ، " علم الإنسان " ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر.

اعداد / أ.د. مختار رحاب

من الاهتمامات البحثية لعلم آثار ما قبل التاريخ هو التركيز على دراسة المجتمعات الإنسانية منذ ظهور ما يسمى بالإنسان العاقل، ويتتبع كيفيات ومراحل تطور ثقافة الإنسان، وذلك من خلال التركيز على بقايا ومخلفات الإنسان المادية، فيتم تشخيص وضعها البدائي الأول إلى رصد أهم التطورات التي حصلت وتشكلها في حالة راقية خصوصا مع بدايات العصر التاريخي، حيث اكتشاف الكتابة لدى الإنسان. ومن ثمت قدرته على وصف وحفظ منجزاته الحضارية عن طريق الكتابة.

وإضافة إلى الدور العلمي المنوط بعلم آثار ما قبل التاريخ، فانه قد أسهم كذلك في التأسيس لإقامة ما يسمى بالمتاحف والتي كانت بداياتها من خلال وضع ما تم التنقيب عنه واكتشافه من بقايا ومخلفات الإنسان، ثم أصبح المتحف يمثل مؤسسة قائمة بذاتها لها أدوار عديدة منها العلمية والتثقيفية وحفظ الذاكرة، وإبراز معالم هوية المجتمع بجذورها التاريخية العميقة وتأكيد انتمائه الحضاري، إضافة إلى الدور السياحي والاقتصادي، ونجد في عالمنا المعاصر العديد من المتاحف المشهورة كمتاحف بغداد، القاهرة، متحف اللوفر، متحف الإنسان بفرنسا وغيرها، وغالبا ما تكون هذه المتاحف هي المخبر العلمي للطلاب والمختصون في مجال الأنثروبولوجيا الفيزيقية، كما أسست المتاحف لاحقا لفرع من فروع الأنثروبولوجيا المعاصرة سمي بالأنثروبولوجيا البصرية، أو الأنثروبولوجيا المرئية.

2- علم اللغويات Linguistique :

فرع هام من فروع الأنثروبولوجيا الثقافية يهتم بعنصر حيوي من عناصر الثقافة و هو اللغة، وهي الوسيلة الرئيسية للاتصال بين الإنسان و أخيه الإنسان، كما أنها أداة نقل الأفكار أو التعبير عنها بكلمات أو إشارات أو رموز أو صور أو أشكال و غيرها، إن اللغة ليست اهتمام اللغويين فحسب بل يهتم بها بعض العلماء المتخصصين في مجال الأنثروبولوجيا اللغوية، و بعض التخصصات الأخرى كالفلسفة و المنطق و علم النفس.

بما أن اللغة تمثل أبرز العناصر في المنظومة الثقافية لأي مجموعة أو مجتمع فان علم اللغويات قد صنف كأحد فروع الأنثروبولوجيا الثقافية، وعلم اللغويات يدرس في أغلب الجامعات في أقسام خاصة، كما ينقسم هو الآخر إلى فروع عدة نذكر منها علم أصوات اللغة، علم اللغويات الوصفي، وينطلق عالم

اعداد / أ.د. مختار رحاب

اللغة في دراساته اعتمادا على اللغة الكلامية التي لم تكتب بعد، الأمر الذي يستلزم إتباع تقنية الإصغاء والاستماع إلى الأفراد في المجتمع محل البحث والدراسة، وغالبا ما تم التعارف على رموز عالمية توظف لكتابة اللغة وفك طلاسمها. وإضافة إلى علم أصوات اللغة هناك فرع آخر هو علم أصول اللغات ويبحث في أصل اللغات، كذا العلاقات التبادلية فيما بينها، ويحاول تصنيف اللغات إلى عائلات، ويعتمد بصورة كبيرة على الوثائق التاريخية، وتصبح المهمة صعبة جدا عند تناول اللغات القديمة التي لا توجد بشأنها وثائق مكتوبة.

و الأنثروبولوجي اللغوي يهتم في البحث عن أصول اللغات و أشكالها الرمزية و محاولة إعادة البناء اللغوي لبعض اللغات بغرض الوقوف على المجموعات اللغوية التي تشترك و ترجع إلى أصول متشابهة كالمجموعة السامية التي تضم اللغة العربية و اللغة العبرية و غيرها.هذا بالإضافة إلى اهتمام البحث في أنثروبولوجيا اللغة بعلاقة اللغة بجوانب ثقافة المجتمع، كإبراز لوظائفها وأدوارها ضمن البيئة الثقافية، وعلاقتها بالتنظيم الاجتماعي.

و قد قسم الأنثروبولوجيون اللغويون و العلماء اللغات الإنسانية إلى فصائل و عائلات يجمع أفراد كل فصيلة منها صلات لغوية قرابية تتفق في أصول الكلمات و قواعد البنية و تركيب الجمل وما إلى ذلك ، و يتكون من الأمم الناطقة بها مجموعة إنسانية مميزة ترجع إلى أصول شعبية واحدة أو متقاربة، و تؤلف بينها طائفة من الروابط الجغرافية و التاريخية و الاجتماعية.

3- الاثنولوجيا:

قد يقع اللبس أحيانا بين مدلولي مصطلح الاثنولوجيا والاثنوغرافيا، ولتوضيح الفرق بين الاثنولوجيا والاثنوغرافيا يمكننا القول أن المرحلة الإثنوغرافية من الدراسة أو البحث الأنثروبولوجي، ضرورية بالنسبة للباحث عند قيامه بإجراء دراسة أتنولوجية، حيث لا يمكنه الذهاب إلى مرحلة المقارنة والتحليل ما لم يقم بالمرحلة الأولى "المرحلة الاثنوغرافية أو الوصفية" وهي تعتبر عمل وصفي وتدوين وتسجيل لعناصر ثقافة الشعوب ومجريات حياتهم وأساليبهم وطرائقهم في العيش أي كل ما تحمله كلمة ثقافة من معنى. و

بالتالي فالإثنوغرافي تقتصر وظيفته على الوصف و التسجيل دون القيام بعملية المقارنة أو التحليل ، ذلك أن هذه الوظيفة من مهمة الإثنولوجي **Ethnologue**.

يقول توماس بينمان **T.Penniman**:" إن هدف الأنثروبولوجيا سواء في الحاضر أم في الماضي هو الدراسة الاثنولوجية، بل إن هدف فروع الأنثروبولوجيا جميعها سواء الأنثروبولوجيا الجسمية، دراسات ما قبل التاريخ، الأنثروبولوجيا الاجتماعية هي أن تثري معلوماتنا الاثنولوجية وتضيف إليها، حتى تساعدنا على فهم الناس في أوضاعهم الحالية والكيفية التي انتهت بهم إلى هذا الموضع."[3]

وإذا كانت اثنولوجيا الأمس هي أنثروبولوجيا اليوم فتبقى غايتها العلمية هي محاولة الوصول إلى وضع تعميمات أو قوانين أو صياغة نظريات عامة يمكن في ضوئها تفسير الأفعال و السلوكات الإنسانية ، وفق المنظومات الثقافية السائدة، هذا بالإضافة إلى التركيز على دراسة عملية الاتصال بين الثقافات البشرية و عقد المقارنات بينها، و تقسيم هذه الثقافات وفق قواعد معينة إلى مناطق ثقافية. وقد كانت المجتمعات البدائية هي الحقل الأول للدراسة من قبل الأنثروبولوجيين.

ثالثا: الأنثروبولوجيا الاجتماعية:

لقد وقع لبس كبير بين المدرسة البريطانية والمدرسة الأمريكية حول الأنثروبولوجيا الاجتماعية، فتنظر الأولى لها على أنها فرع علمي مستقل ولا بد من الفصل بينها وبين الأنثروبولوجيا الثقافية، في حين ترى المدرسة الأمريكية أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية هي فرع من الأنثروبولوجيا الثقافية على أساس الانطلاق من مصطلح ثقافة وما يحمله بكليته المركبة، والواقع أنه يصعب الفصل بين فرعي الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية وذلك بسبب التداخل بين الموضوعات المدروسة فلا يمكن الفصل بين الثقافي والاجتماعي في مجريات التفاعلات اليومية.

ذلك أن الأنثروبولوجيا الثقافية ينطلق منهج عملها من البدء بدراسة أدوات العمل والتقنيات والأشياء المادية، ثم الاهتمام بالنشاط الاجتماعي والسياسي الذي يسمح بتشكل وقيام نمط اجتماعي

---

[3] – **حسين فهيم: قصة الأنثروبولوجيا، سلسلة عالم المعرفة، ع98، الكويت، 1986.**

اعداد / أ.د. مختار رحاب

يمارس الأفراد ضمن نطاقه أنشطتهم الحياتية في إطار من الانسجام مع مؤسساته الاجتماعية كافة، ومن ثمة الانتقال بالموضوع البحثي لدراسة النشاطات الإنتاجية المتمثلة بأدوات العمل لمختلف جوانب الحياة الاجتماعية.[4]

وكان من بين التعريفات الكلاسيكية التي صيغت حول الأنثروبولوجيا الاجتماعية أنها ذلك العلم الذي يهتم بدراسة البناء الاجتماعي لأي جماعة أو مجتمع، بصورة كلية لما يتضمنه هذا البناء من علاقات وتنظيمات، وبالتركيز على دراسة هذه الموضوعات تتجسر الهوة وتقترب العلاقة بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية.

والأنثروبولوجيا الاجتماعية هي مصطلح أطلق من قبل التراث البحثي المهيمن من قبل رواد المدرسة البريطانية الذين يؤكدون على دراسة الجماعة، المجتمع، البناء الاجتماعي، التنظيم الاجتماعي، العلاقات الاجتماعية، وقناعتهم بالاستقلال الذاتي للمجال الاجتماعي، وهذا التركيز إذا ما أردنا البحث في خلفيته التاريخية فيمكننا القول أنه نتيجة تأثر رواد الأنثروبولوجيا الاجتماعية في بريطانيا خصوصا البنائيين الوظيفيين منهم بالتراث السوسيولوجي لبعض علماء الاجتماع الفرنسيين وعلى رأسهم إميل دوركايم حيث استفادوا كثيرا من نظرياته حول الظواهر الاجتماعية، ونذكر منهم راد كليف براون، وفورتس.

وهناك من يرى أن :" الأنثروبولوجيا الاجتماعية علم حديث نسبيا، وكان السير جيمس فريزر J.Frazer هو أول من استخدم هذا المصطلح الجديد، وبخاصة في محاضرته لشهيرة التي ألقاها في جامعة ليفربول 1908، تحت عنوان "مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية" وفي هذه المحاضرة حدد دراسة الأنثروبولوجيا الاجتماعية بأنها محاولة علمية للكشف عما يسميه بالقوانين العامة التي تحكم الظواهر، وتفسر ماضي المجتمعات الإنسانية حتى تتمكن بفضلها أن تتنبأ بمستقبل البشرية، استنادا إلى تلك

---

[4] – علي عبد الله الجباوي: الأنثروبولوجيا ، جامعة دمشق، 1988

اعداد / أ.د. مختار رحاب

القوانين الاجتماعية العامة التي تنظم تاريخ الإنسان حيث أن الطبيعة البشرية تتسم بأنها واحدة في كل زمان ومكان."[5]

يهتم هذا الفرع من فروع الانتربولوجيا بتحليل البناء الاجتماعي للمجتمع خصوصا في المراحل الأولى من بدايات الدراسات الحقلية والتركيز على المجتمعات المسماة بدائية، أين تظهر وحدة وتكامل البناء الاجتماعي، وهكذا يرتكز الاهتمام من قبل المختصين في الأنثروبولوجيا الاجتماعية على القطاع الاجتماعي للثقافة بدرجة عالية من الدقة والتفصيل، مع التركيز على إبراز الترابط والتأثير المتبادل بين النظم الاجتماعية. ويرى ايفانز بريتشارد أن الاهتمام يكون بدراسة النظم الاجتماعية كالعائلة و نسق القرابة و التنظيمات السياسية و الإجراءات الضبطية القانونية و العبادات الدينية، و كل السلوكات الاجتماعية المتولدة داخل هذه النظم، كما تدرس الانتربولوجيا الاجتماعية كذلك العلاقة بين النظم الاجتماعية سواء في المجتمعات المعاصرة أو في المجتمعات التاريخية ، التي تتوفر عنها معلومات مناسبة تساعد على القيام بالأبحاث و الدراسات [6].

إن الانتربولوجيا الاجتماعية تختلف عن الانتربولوجيا الثقافية ، سيما في موضوع الدراسة فإذا كانت الثانية تشتغل عن الثقافة ، و التي هي طريقة يحيا بها شعب معين في حياته ، فان مصطلح " مجتمع " هو اجتماع الأفراد منتظم لعدد من الأفراد يمكننا أن نسمي هذا الاجتماع بالتكتل ، و أهم ما يميز هذا الاجتماع المنتظم للأفراد هو التفاعل ، و هو مجال اشتغال الباحثين في الانتربولوجيا الاجتماعية .

فالنظام الاجتماعي هو تعبير تقني انتربولوجي، يدل على المظهر الأساسي في حياة الجماعة الإنسانية و هو يشمل النظم التي تؤلف إطار تندرج ضمنه أنواع السلوك الصادرة عن الفرد أو الجماعة [7]. و هذا أشهر فروع الانتروبولوجيا، و نظرا للأبحاث الانتروبولوجية الميدانية الجادة و ما ترتب عنها

---

[5] – **قباري محمد اسماعيل: الأنثروبولوجيا الوظيفية، دار الكاتب العربي .**

[6] – **ايفا نز بريتشارد : الانتربولوجيا الاجتماعية ، تر : احمد أبو زيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب الإسكندرية، 1975 .**

[7] – **ميلفيل هرسكوفتز : أسس الانتربولوجيا الاجتماعية ، تر : رياح النفاخ ، وزارة الثقافة ، دمشق ، 1974 .**

اعداد / أ.د. مختار رحاب

من توفير للمعطيات الحقلية ، فإنها قدمت مزايا علمية معتبرة للعديد من فروع العلوم سواء الاجتماعية و الإنسانية بل حتى بعض فروع العلوم الطبيعية و علوم الحياة كالطب و البيولوجيا .... و في وقتنا الحالي نجد في خارطة العلوم الأكاديمية ، فروعا أخرى للانتربولوجيا : كانتروبولوجيا القانون و الانتروبولوجيا الاقتصادية...

و بمرور الزمن، و مع اتساع مجالات البحث، و ازدياد الكشوفات البحثية و التوصل إلى نتائج مختلفة و متعددة، و التي غالبا ما كانت متبوعة باستفسارات واستفهامات متعددة، استدعى الأمر إلى تخصيص فروع انتربولوجية أكثر، فظهرت تقسيمات و فروع جديدة معاصرة نذكر منها